الفصل السادس

آثار سعيد أحمد البالنبوري العربية : دراسة تحليلية .

الفصل السادس

آثار سعيد أحمد البالنبوري العربية : دراسة تحليلية ـ

ضوء حول مؤهّلاته فى اللغة العربية والمؤلفات العربية:

يعتقد المسلمون بحق أن اللغة العربية أفضل اللغات وأشرفها ، حيث إنها تحتل مكانة سامية وأهمية بالغة علي الصعيدين : الصعيد الديني ، والصعيد العالمي ، الأمر الذي جعلها مرفوعة الرأس عالية القامة من بين زميلاتها الأخري بأن الأمة تعتبرها أم الألسنة، وإنها تمثل أساسا قويا من أسس العلوم الإسلامية . وإن العلم لدي المسلمين ما هو إلا كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.والقرآن أنزله الله تعالي بلسان عربي مبين ، كما أن صاحب السنة صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب أجمعين.

ومن هنا عُنيت المدارس الإسلامية والمعاهد الدينية في شبه القارّة الهندية بهذه اللغة عناية فائقة . فإذا أمعنا النظر في التاريخ نجد أن الكتب الإسلامية من علوم القرآن والحديث وأصولها ، والفقه الإسلامي ، والسيرة ، والتاريخ لاتزال تدرس في المدارس الإسلامية منذ قرون. وكلها باللغة العربية ، فالمتخرجون منها يقدرون علي الإستفادة من الكتب العربية ،، فهنا مئات من المحدثين والمفسرين والعلماء الأفاضل والأدباء النابغين لايزالون يقومون بكتابة البحوث والمؤلفات والشرح باللغة العربية.

أما الشيخ سعيد أحمد البالنبوري فهو أيضا من العلماء الأفاضل الذين يقدرون علي تعبير ما تكنه ضمائرهم من علوم الكتاب والسنة باللغة العربية كتابة وتحدثا ؛ ولكنه لا يعدمن الأدباء البارعين والكتاب المتضلعين من اللغة العربية ؛ لأنه لخدمة العلوم العالمية من التفسير وأصوله، والفقه وأصوله والحديث وأصوله غيرأن كتبه التي ألفها في ا للغة العربية وإن كانت لاتبلغ إلي مستوي الأدب الكامل لكنها مملوء ة بعلوم

الكتاب والسنة ، اما الكتب التى ألفها بالعربية، أو قام بالعتليق بالعربية ، أو شرح كتاب بالعربية فهى تعكس مدىٰ مؤهلاته اللغة العربية.فوجد ان الشيخ قام بثمانية كتب فى اللغة العربية، ونالت هذه الكتب كافة القبول، تدرس وتستفاد منها فى المدارس والمعاهد الدينية و هي فيما يلي:

1 –*الفوز الكبيرفى اصول التفسير(تحقيق وترجمة الفوز الكبيرإلى العربية)*

صنفه الإمام الشيخ أحمد ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي بلغة محلّية فارسية وكان الكتاب موجزا مختصرا. وكان رحمه الله يدرّس بدوره طول حياته، ثم بعده لايزال يدرّس في المدارس والمعاهد الدينية بالهند؛ لأن الكتاب وإن كان صغير الحجم قليل الأوراق ولكنه أجدى من تفاريق العصا، وأنفع من الغيث في أوانه.

ومنذ زمن طويل كان الطلاب يقرؤونه باهتمام بالغ ورغبة تامّة في أنحاء البلاد الهندية؛ لأن اللغة الفارسية كانت تُنطق وتفهم في البلاد. فلما انقضى عصرها، وما بقيت اللغة الفارسية مفهومةً إلا لدى جماعة قليلة من أهل العلم أحسّ عالم هنديّ بالحاجة إلى الترجمة ونقلها إلى العربية، فقام بهذا العمل المهمّ بدون أن يُبدي اسمه. ونسب الترجمةَ إلى الشيخ محمد منير الدمشقي، صاحب المطبعة المنيرية الشهيرية بدمشق، كما حكاه الشيخ سلمان الحسيني الندوي، عن سماحة الشيخ أبي الحسن علي الندوي في ترجمته للفوز الكبير؛ حيث قال:

«كما نقرأ على غلاف الكتاب اسم المترجم لكتاب: الشيخ محمد منير الدمشقي، ولم نكن نعرف عنه إلا هذا الاسم من هو؟ متى ترجم الكتاب؟ هل كان يعرف الفارسية أو استعان باحد في الترجمة؟ وهل له شيء آخر غير ذلك يتعلق بالإمام الدهلوي؟ أسئلة كانت ترد على الذهن وتثور في النفس بغير جواب».

وفي هامشه:

«سمعت من سماحة شيخ الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوي حفظه الله أن هذا الكتاب ترجمه أحد العلماء في الهند، ونسب إلى الشيخ محمد منير الدمشقي صاحب المطبعة المنيرية، واشتهربه».

ولكن كان في هذه الترجمة هجنة وسقط وغموض وخطأ في مواضع شتى، وكانت الحاجة ماسة إلى الترجمة الصحيحة الدقيقة، ولكن المدرسين له كانوا عارفين باللغة الفارسية، فكانوا يرجعون إلى الأصل الفارسي حيثما يشعرون بصعوبة في حل الكتاب.

وعندما قام الشيخ البالنبوري بتأليف «*العون الكبير*» في شرح «*الفوز الكبير*» شعر بحاجة إلى مقابلة الترجمة بالأصل الفارسي، فقام بهذا الأمر المهم حيثما وجد الغموض في التعبير، أو الخلل في العبارة، أو الخطأ في أداء الغرض ونبّه عليه في الشرح، و وضع الترجمة الصحيحة في الشرح، ولم يغيّر أصل الكتاب.

وما زال العون الكبير يطبع من سبائك حديدية، حتى ذهب روائُها وبهائُها فأراد الشيخ طبع الكتاب بالكمبيوتر، فنظر في الكتاب مرة أخرى، فلم يعجبه الأسلوب، واطلع أثناء ذلك على أخطاء كثيرة جديدة، طفيفة وجليلة، فمست الحاجة إلى المراجعة مرة أخرى.

وإلى جانب ذلك القائمون بتدريس الكتاب في جامعة دارالعلوم ديوبند وكذا في الجامعات الأخرى في الهند أصرّوا عليه مرّات أن يقوم بترجمة الكتاب من جديد. فاستجابةً لمتطلبات هؤلاء العلماء البارزين وخدمةً لطلاب علوم الكتاب والسنة قام الشيخ البالنبوري بهذه المسؤولية الهامّة – بتوفيق ربه المليك الوهّاب . ولا يخفى على من يطالع الكتاب أن الشيخ قد بذل جهودا مشكورة في تهذيب التعريب. وإنه جعل الترجمة

القديمة أصلا، وغيّر العبارة في مواضع الضرورة، وعلق في مواضع الضرورة تعليقا موجزا، وقَسَم أجزاء الكلام ورقّم الكتاب وعَنْوَنَه من جديد. وقبل أن تبرز الكتاب من خِدره طلعت ترجمة جديدة للأستاذ الشيخ سلمان الندوي فاستفاد منها الشيخ في تهذيب التعريب. فصار الكتاب غَضّا طريّا. وطبع في تصنيف جميل وحلة قشيبة، فنال الكتاب سمعة طيبة في المدارس الإسلامية فتلقاه العلماء والطلاب وأرباب الجامعات بالقبول.

ثم قدّمه الشيخ مولانا مرغوب الرحمان البجنوري – مديرا للجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند سابقا إلى المجلس الاستشاري للجامعة فقرره للتدريس في الجامعة وفي المدارس الإسلامية الأخرى. وما زال ولايزال الكتاب مدروسًا داخلا في المقررات الدراسية للمدارس الإسلامية.

2 *العون الكبير*

وهي تعليقات نافعة وجيزة علي "*الفوز الكبير*" لصاحبه الإمام أحمد ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي (المتوفي:1176ه)الذي قام الشيخ البالنبوري بتهذيب تعريبه وبمراجعته مرة أخري، والتعليق عليه ،و الترقيم ،والعنوانة من جديد. وقد بذل الشيخ البالنبوري مجهودات بالغة وسعيا مشكوراً في الشرح وتوضيح الكتاب ،وإيضاح المرام وتسهيله وسعي في كثير من المواضيع أن يشرح نصّ الكتاب بنصّ صاحبه الإمام الدهلوي من مآخذه الأخري، فقرب البعيد وجمع الشتيت ،وسهّل الطريق ،فصار الشرح عونا كبيراً لمن يروم الفوز الكبير، كما اضاف الشيخ إلي الشرح مباحث مهمة من الكتب العربية والأردية ،لا سيما ما استفاده من مؤلفات الإمام محمد قاسم النانوتوي،مؤسس دارالعلوم، ديوبد. فازداد الكتاب نفعاً.

ومن المعلوم لدي أصحاب العلوم والمعارف أن فعل عبد، مهما يبلغ إلي درجة الكمال. لا يخلو من هفوة و كبوة؛ فإن الإنسان مركب من الخطا والنسيان. فالشيخ الإمام

ولي الله الدهلوي مع جلالة قدرة وعلو مكانه له آراء لا تتفق مع آراء جما هير العلماء. فالشيخ البالنبوري استدرك علي الإمام المصنف قوله في مواضع عديدة وأتبعه بالصواب المختار لدي الأئمة الأقطاب الآخري، حيثما مست الحاجة الشديدة إلي ذلك. وقد قال العلامة محمد يوسف البنوري في تأليفة"معارف السنن"للشيخ ولي الله-رحمه الله- في كتبه آراء مع جلالة قدره يشكل أن يوافق عليها-

وقد راعي الشيخ البالنبوري في شرح الفوز الكبير خمسة أمور آتية:

"قابلت الترجمة بالأصل الفارسي ولم يأل جهداً في توضيح الكتاب وتبيينه وإيضاح المرام وتسهيله، واجتهد في كثير من المواضيع أن يشرح كلام الإمام المصنف بكلامه من مآخذه الأخري، وعنو ن المضامين وسمي أجزاء الكلام ورقم الكتاب ،وأضاف إلي الشرح مباحث مهمة من الكتب العربية والأردية ،واستدرك علي الإمام قوله في مواضع عديدة ،واتبعه بالصواب .حيثما مست الحاجة الشديدةإلي ذلك"[١٣]

3 *زبدة الطحاوي:*

إنه تلخيص لكتاب *"شرح معاني الآثار"* إلي كتاب الطهارة لصاحبه الإمام أبوجعفر الطحاوي الحنفي-رحمه الله تعالي-إنه قام بتأليف هذا الكتاب لبيا ن الروايات المختلفة المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأحكام الشرعية وللرد علي الملحدين الزائغين المنكرين لحجية الحديث، ورفع ما بين الأحاديث الشريفة من التعارض الظاهريّ كما يقول الإمام الطحاوي في بداية كتابه:" «سألني بعض أصحابنا من أهل العلم أن أضع له كتابا، أذكر فيه الآثار الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأحكام التي يتوهم فيها أهل الإلحاد والضعفة من أهل الإسلام: أن بعضها ينقص بعضا، لقلة علمهم بناسخهامن منسوخها، وما يجب به العمل منها، لما يشهد له

---

[١٣] مقدمة العون الكبير ص:6،مساهمة الهند في النثر العربي خلال القر العشرين ص: 152

الكتاب الناطق، والسنة المجتمع عليها...» إلخ[١٤]

فالدافع الأصلي إلي وضع هذا الكتاب هو الرد علي أهل الإلحاد؛ ولكنه يأتي فيه تبعاً بالمحاكمة بين أدلة المسائل الخلافية ويسوق الأخبار التي يتمسك بها أهل الخلاف في تلك المسائل، ويخرج من بحوثه بعد نقدها إسنادا ومتناً بما يقنع به الباحث. وصار الكتاب من أعظم الكتب نفعاً وفائدة يجعل الرجل بصيرا في علم الحديث ونقاداً ومحدثا وفقيها، ويتفرد من بين الكتب المؤلفة في الحديث بمزايا لا توجد في كتب أخري. وكانت الحاجة ماسة إلي تلخصيه لاشتماله علي اسانيد كثيرة وطرق شتي لحديث واحد. فمن لخصّه في العصر الراهن هو الشيخ سعيد أحمد البالنبوري ،إنه ذكر المسائل الفقهية ملخصاً التي بسطها الإمام الطحاوي في كتاب الطهارة ،كما قام بتحقيق الأحكام الفقهية من كتب الشراح مع دلائل كل فريق من كتبهم، ويأتي بدلائلهم فوق ما ذكره الإمام الطحاوي، ثم يجيب عن دلائل المخالفين من كتب الأحناف .كما ألحق الشيخ البالنبوري في آخركتابه هذه مقالة باسم "*شرط الإمام البخاري في صحيحه*" باللغة العربية وإنها مفيدة لطلاب الحديث النبوي الشريف.

4 *شرح علل الترمذي*:

هذا شرح موجز لكتاب صغير مسمي ب "*العلل الصغري*" للإمام الحافظ محمد بن عيسي بن سورة بن موسي بن الضحاك السلمي الترمذي.وليس هو في موضوع العلل في الأصل؛ بل هو تتمّة لجامع الترمذي. قد صنف الإمام الترمذي كتابه الماتع المسمي بالجامع في موضوع السنن ،ورتبه علي الأبواب الفقهية، وذكر فيه أقوال الفقهاء، وبين علل الأحاديث وأحوال الرواة وأقوال الفقهاء ،وأقوال أئمة الجرح والتعديل

---

١٤ شرح معانى الآثار،1/1

،وختم بهذا الكتاب الصغير وبين فيه مقاصد الجامع ومصادره وأوضح مصطلحاته.

وقد درّس الشيخ البالنبوري هذه الرسالة في الجامعة الأشرفية بـ"راندير" بولاية غوجرات بالهند، وعلق عليه تعليقات مفيدة ولكنه لم يفز بطبعها لأسباب طارئة حتي كادت الأوراق تتمزق وتضيع ،إذ ترجم الأستاذ الشيخ عبدالغفار البستوي مدرّس الحديث الشريف بالمدرسة الأمينية بدهلي الكوكب الدرّي إلي اللغة الأردية باسم "*الطيب الزكي*" فلما كاد يتخلص منها أشار عليه الشيخ البالنبوري أن يترجم كتاب العلل إلي الأردية كذلك ثم يدرج فيه الكوكب ليكون نافعاًللطلاب فاستجاب الشيخ هذا النداوترجمة بتمامه وأرسل الترجمة إلي الشيخ البالنبوري ليعيد فيها النظر. فلما قام الشيخ بهذا العمل اشتاق الي طبع ما علق عليه من قبل. وأضاف إليه ما في الكوكب الدرّي من الفوائد الثمينة والنكت اللطيفة. واقتبس من شرح علل الترمذي للعلامة عبدالرحمان من رجب والحنبلي تحقيق الدكتور همام عبدالرحمان سعيد، ورقم الكتاب وعنوانه وفصله فصار الكتاب نافعاً مفيداً للطلاب والمعنين لعلوم الحديث وأصوله.

وطبع المتن منفرداً في بداية الشرح ليدرس في الجامعات الإسلامية بسهوله مازاد الشرح نفعا عظيما.

5 *التعليق علي حجة الله البالغة:*

قد سبق الباحث أن يذكر أن الشيخ سعيد احمد البالنبوري قام بمفخرة عظيمة لشرح "حجة الله البالغة" باسم"رحمة الله الواسعة"وبعد ماتخلص الشخ عن هذا العمل الجليل قيد تعليقات وجيزة وإيضاحات قصيرة علي نفس المتن الذي جل عن الوصف ألفاظه ومعانيه ،وإنه لحرّي بتقريظ ابن المصنف الشاه عبدالعزيز الدهلوي رحمه الله عليه فانه كان أعرف الناس بما فيه ،ومايضمه .قد راجع اصوله ،وصحّحه وعلق عليه.أما عمل الشيخ في الكتاب ومادة التعليقات فهو فيما يلي -

1: قد قارن الكتاب بالنسخة الخطية المقروئة علي الإمام المصنف عند تسطير الشرح .ثم قارن بها مرة أخري عند رقم التعليقات،فماوجد من التعريف وما أثبت من التصحيح أول مرة فقد أدرجه في الشرح ،فمن شاء فليراجعه وما وجده ثانيا أثبته هنا.

2: راجع أحاديث الكتاب كلها من ''*مشكوٰة المصابيح*'' مرة أخري وأحال علي ترقيم العلامة المحدث ناضر الدين الالباني الظاهري الا احاديث يسيرة لم يجدها في'' *مشكوٰة المصابيح*'' فأحالهاإلي مصادرها الاصلية.

3: كانت التعليقات في الطبعة الأولي أكثرها منقولة من هو امش الأصول الأربعة الموجودة عند الناشر الأول ومن غالب الظن أنها من قلم الإمام المصنف فدمجها كلها في تعليقاته ،لم يترك منها إلا يسيرا، وتركه لظهوره أو التسامح فيه كبيان العطف ،ومرجع الضمير وغيرها .

4: اقتبس كثيرا من امالي العلامة الشيخ عبيدالله بن الإسلام السندي أحد المتخرجين من جامعة دارالعلوم ،بديوبند وكان الشيخ درّس كتاب ''*حجة الله البالغة* ''سنة 1353ه بمكة المكرمة وأملي دروسه بالأردية فضبطها وكتبها أحد تلاميذه بالعربية .وكان في تعريبها هجنة في بعض المواضع فغير العبارة[١٥] .

6 *الوافية بماقصد الكافية.*

من المعلوم لدي اهل العلم ان كتاب ''*الكافية* ''لصاحبه ابوعمرو عثمان بن عمر :جمال الدين ابن الحاجب (646/570ه)ينطو ي علي مسائل النحو ويحتوي علي فوائد وافية ،وفرائد باهية ،يُشتمل علي ترتيب يقتضية الطبع السليم ،والذوق المستقيم ،معا

---

[١٥] مقدمة حجة الله البالغة،ج،1،ص8

لنكات عربية نفسية ،وبه يحصل الحظ للمبتدي، والفضل للمنتهي .من هنا مازال العلماء يبذلون الجهود الجبارةفي أخذه ودراسته والتمرن علي مسائله في كل عصر ،حتي قال العلماء البارزون :الكافية كافية في النحو، ماسواه صداع اي لا حاجة الي المزيد منه ـ

ونظراً إلي صيته الزائع وسمعته الطيبة وقبوله لدي مجالس أهل العلم قام عدد من العلماء بشرحه إلي العربية والأردية وغيرهما ،والتعليقات عليه ومنهم الشيخ سعيد أحمد البالنبوري؛فانه قام بالتعليقات الوجيزة بالعربية عليه ،لتكون هادية إلي مغلقاته ،كاشفة عن معانيها ،وسماه *:الوافية بمقاصد الكافية* "وقصد منه توضيح مشكلات المتن وكشف معضلاته ،وتسهيل طريق الوصول إلي مخفياته ،وتذليل صعاب مغلقاته ،يفتح غوامضه ولا يتجاوزمن مفهومه :

وقد تلقيت هذه التعليقات أيضا با لقبول ،واشترت في انحاء شبه القارّة الهندية. ينتفع كثير من طلاب المدارس الإسلامية وأساتذتها ،ويهتدي أهل الاسترشاد إلي سبيل الرشاد.

7 *مبادئ الأصول.*

هذه مجموعة وجيزة محتوية علي التعريف بمصطلحات أصول الفقه وأحكامها ،مستخدمة الأمثلة لتقريب المعاني والمواد. أما الدافع إلي إعداد هذه الرسالة فهو ان كتاب "*أصول الشاشي*"في أصول الفقه ظل يدرّس في المدارس الإسلامية والمعاهد الدينية منذ أمدبعيد ،وما زال الطلاب ينفعون به عصرا بعد عصر؛لكن أسلوبه قديم وأبحاثه منتشرة ،وأمثلته مقنوعة ،فقد صار الآن مرتفعا عن مستوي الطلاب الوافدين إلي المدارس الإسلامية وأذها نهم،فيتجشم الطلاب الآن صعابا في فهمه ،ويقاسون عناء في إدراكه ـفلا يأخذ الكتاب بأيديهم الغاية المنشودة.

فكان من الواجب ان يدرّس قبله كتاب يسهل طريقة ،ويقرب محتواه ،ويمهّد

لمعناه ،ويشق الطريق إلي فهمه، فأعد الشيخ البالنبوري هذه المجموعة باسم "*مبادي ألاصول*"رجاء ان يملا الفراغ ـوقد نالت الرسالة قبولا لدي الطلاب وأهل العلم والمعرفة فهو متبسع تحت المقررات الدراسية في كثير من المدارس الإسلامية ـ

8 *مبادئ الفلسفة*ـ

هذه أيضا رسالة وجيزة محتوية علي أربعين صفحة مثل الرسالة السابقة باللغة العربية ـجمع فيها الشيخ البالنبوري اصطلاحات الفلسفة توطيداالطريق إلي الفلسفة.وذلك امتثالا لأمر الهيئة الاستشارية لجامعة دارالعلوم، ديوبند، وعلي رأسها الشيخ مرغوب الرحمن البجنوري مدير الجامعة سابقا ،فإنه أمر الشيخ البالنبوري أن يعد مجموعة محتوي علي اصطلاحات الفلسفة وتدرّس في المدارس قبل شرح العلامة الميبذي. والحق ان هذه المجموعة أيضا تأخذ بأيدي الطلاب أيضا إلي الغاية المنشودة في طريق محمّد، ويبعث فيهم حبّ هذه المادةويجد الطلاب فيها طلبتم ،والمعلمون أمنيتم.فالآن يستفيدبها طلاب المدارس الإسلامية في الهند ،وتدرّس فيها قبل شرح العلامة الميبذي ،وتمهد الطريق إليه ،وتسهله ،ومعظم الطلاب يحفظ مايضمه من اصطلاحات الفلسفة الإسلامية ...مما يعينهم في فهم المسائل الصعبة في الفلسفة وفي فنون أخري.